1

العدد الأول (جمادى الأولى ١٤٣٥هـ)

تصدر عن شبكة الفكر للكتب الالكترونية

مجلة الفكر الإلكترونية

- حجيّة الصديقة في مقام الدفاع عن صدّيق الأمة أمير المؤمنين (ع)
- المقامات العليا للسيدة الزهراء (ع)
- منهج البحث في شخصية فاطمة الزهراء (ع)
- الهدف من الخِلقة
- الأحداث التي غطتها الحكومة أيام وفاة النبي (ص)

مجلة الفكر الإلكترونية

تصدر من شبكة **الفكر** للكتب الإلكترونية | www.**alfeker**.net
العدد الأول | جمادى الأولى 1435 هـ

يمكنكم التواصل والاستفسار ومتابعة جديد
شبكة الفكر للكتب الإلكترونية
عبر تطبيقات التواصل الإجتماعية
twitter / instagram / facebook

@alfekerbooks
@alfeker
alfekerbook
alfeker@outlook.com

- **ملاحظة : المقالات الواردة في المجلة ليس بالضرورة تمثل رأي شبكة الفكر .**

محتويات العدد

حجيّة الصّديقة في مقام الدّفاع عن صدّيق الأمة عليهما السلام

الشيخ محمّد السّند

- مقتطف من كتاب [مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب والسنة]

شهدت السّاعات الأولى من رحيل النبي صلى الله عليه وآله صراعاً عنيفاً بين أجنحة التيارات الطامحة في الحكم، ولم يمر وقت قليل حتى تمّت تصفية حسابات توزّعت من خلالها مناصب الحكم لتتفق بعد ذلك على إقصاء الشّرعية الإلهيّة المتمثّلة في الإمام علي عليه السلام.

لم تكن هذه المراحل القاسية التي مرّت على الإمام علي عليه السلام باليسيرة، بل صاحبتها محاولات إرغام على البيعة عانى منها وأصحابه الأبرار شتّى الضّغوط النّفسية التي حاولت من خلالها مجموعة السّقيفة إلى أخذ إقرار ولو شكلي على تأييد محاولات البيعة المدّعاة ليكون الأمر بعد ذلك ممرّراً تحت غطاء الشّرعية، هكذا حاولت السّقيفة إقناع عامة المسلمين، إلّا أنَّ ذلك لم يتم مع وجود فاطمة الزّهراء عليها السلام وهي تتصدّى لمحاولات الإرغام على البيعة التي تطال عليّاً عليه السلام وأصحابه وذلك لما تتمتع به فاطمة عليها السلام من مقام الحجيّة المرتكز في نفوس المسلمين، إذ لازالت ذاكرة المسلمين تسجّل ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكّده في فاطمة عليها السلام من مقامٍ شامخٍ وذكرٍ عظيمٍ.

عن كتاب لأبي اسحاق الثعلبي عن مجاهد قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخذ بيد فاطمة وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني،

ومن آذاني فقد آذى الله".[١]

وعن جابر بن عبدالله قال: "قال رسول الله ﷺ: إنّ فاطمة شعرة منّي، فمن آذى شعرة منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السّماوات والأرض".[٢]

وقد فهم المسلمون إنّ اقتران أذى فاطمة عليها السلام بأذى رسول الله ﷺ وبالتالي هو أذى الله تعالى الذي يوجب اللّعنة والعذاب الأليم، إذ لا يتم ذلك إلا لمن كان له مقام الحجيّة الإلهيّة، وإلّا لا يمكن أن يتم قوله ﷺ أن أذى فاطمة عليها السلام يعني أذاه الذي هو أذى الله تعالى، فإنّ ذلك دليل الحجيّة التي تتمتّع بها مقام فاطمة من بين المسلمين، لذا فلا يكون دخولها عليها السلام وسط الأحداث الملتهبة إلا إخماد لتلك النائرة التي أجّجتها طموحات القوم وأمانيهم مما أدّى إلى إرباك خططهم وتداعي كل محاولة خارجة عن نطاق الشرعية، فقد روى ابن أبي الحديد عن أستاذه النّقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري حين تساءل عن كلام أبي بكر بعد خطبة فاطمة عليها السلام وتعريضه لعلي فقال: إنّه المُلك يا بنيّ قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علّي، فخاف من اضطراب الأمر عليهم[٣].

والرواية التّالية ستشهد مدى تأثير الموقف الفاطميّ في إرباك محاولات القوم لما ارتكز عند القوم من حجيّة فاطمة عليها السلام فضلاً عما هو مرتكز لدى المسلمين وقتذاك من النّصوص القرآنية على حجّيتها وباقي الأحاديث النبوية حول مقام الزهراء من قبيل أنها سيّدة نساء أهل الجنّة والذي قد رويَّ في الصِّحاح وغير ذلك فكيف بمن تكون سيّدة نساء أهل الجنّة لا تبايع إمام زمانها وتموت ميتة جاهليّة مع أنّه سمعوا النبي ﷺ أنّه قال "من مات ولم يعرف أو لم يبايع إمام زمانه مات ميتة جاهليّة" مما يدلّل موقف فاطمة عليها السلام لهم أنَّ أبي بكر لم يكن صاحب البيعة الشّريعة ولا الإمام الذي يبايع فقد كانت بيعة الزّهراء عليها السلام لعليّ عليه السلام. ويدل على مثل ذلك ما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنّ عمر قال لأبي بكر إنطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد عليهما السلام، تكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحب إليّ من عائشة إبنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني متُّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله إلا إنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول "لا نورّث ما تركنا فهو صدقة" فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم،

(١). عوالم العلوم للسيد البحراني : ١١٥ .

(٢). عوالم العلوم للسيد البحراني: ١١٥

(٣). شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥ .

فقالت: "نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة إبنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني" قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: "فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه" فقال أبو بكر: أنا عائذٌ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة؟ ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: "والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها" ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي.(٤)

هذا ما أحدثه موقف فاطمة عليها السلام إذ لو لم يكن لموقف فاطمة عليها السلام الحجيّة كما هو مرتكز عند المسلمين لما طلب الشيخان الإعتذار منها، وقد ذكَّرتهما بحجيّتها فأقرّا لها ذلك عند قولها: "ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي..." فشهدا لها بذلك وأقرّا منزلتها وصدّقا حجيتها، لذا فإنّ عدم رضاها عنهما دفع أبو بكر إلى البكاء مما ضاق منه لعدم رضا فاطمة عليها السلام، ولو لم يكن لها ذلك المقام الشامخ عند المسلمين لما كانت حاجة ملحة في الإعتذار والإستشفاع لنيل رضاها لعلمهم أنّه رضا الله، ولما أيقنا سخطها تبادر لهما أن سخطها سخط الله، لذا فقد استنجد أبو بكر بالمسلمين لإقالته بيعته وإقراره أن سخط فاطمة عليها السلام يلغي شرعيّة نظامه من الأساس.

لذا فإنّ موقف فاطمة عليها السلام ترك أثراً مهماً في مجريات الأحداث، إذ دفع بالقيادة إلى الإرتداع ولو مؤقّتاً عن مواقف الإبتزاز التي استعملت مع علي عليه السلام لأخذ البيعة قهراً.

لذا فقد قالوا: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنّه كان هذا لم يقم لله دين فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ليلة وليَّ في عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة، قال ابن قتيبة: فلم يبايع علي كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنهما(٥). مما يعني أن القيادة كانت متوجسة من إثارة غضب فاطمة عليها السلام بالإصرار على مبايعة علي عليه السلام لهم، فكانت تتحسّب لمقام فاطمة عليها السلام حسابها متيقنة مدى خطورة حجيّتها في حسم الأحداث وتوجيه المواقف إذا هم تمادوا في مضايقة علي عليه السلام والتشديد عليه لأخذ البيعة بعد ذلك.

ولا ننسى ما اتخذه الخليفة الأول من موقف المهادن طالما فاطمة عليها السلام قد دخلت

(٤). الإمامة والسياسة لابن قتيبة:١٧، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٥). الامـامـة والسياسة: ١٧، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

في صلب الأحداث وجعل مطالبته لعلي بالبيعة مؤجّلة مادامت فاطمة عليها السلام إلى جنبه. قال عمر: ألا تامر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه(٦).

والذي نريد التأكيد عليه أن حجيّة فاطمة عليها السلام كان لها الأثر الكبير في إثبات حق علي عليه السلام والذي يعني من خلال ذلك إثبات إمامته التي هي فرع النبوّة وكمال الدعوة، ولما كان الحال كذلك فإنّ دعوة النبي صلى الله عليه وآله ورسالته توقفت على موقف فاطمة عليها السلام ودفاعها بما تملكه من حجيّة إلهيّة بقاءً ودواماً.

كان لهذا الموقف الحاسم للأحداث من قبل فاطمة عليها السلام بياناً لمن يستحق الشّرعية الحاكمة، وكشفاً لمحاولات تزييف الحقائق، إذ بموقفها هذا حُفظ للإسلام وجهه النّاصع، واحتفظ التّاريخ بوقائع هذه الأحداث، وكيف كان لموقفها دوراً في فضح المخالفات الشّرعية والقانونية من أجل التوصل إلى طموحات شخصية، وبالمقابل كان ذلك تعريفاً لحقوق أهل البيت عليهم السلام المغتصبة، إذ بعد هذا الموقف الفاطميّ أمكن تعميم أحكامه على أي وجود حاكمي يخرج عن نطاق شرعية أهل البيت عليهم السلام مما يعني أن موقف الزّهراء عليها السلام كان خزيناً من الشّرعية الإلهيّة يستخدمه أهل البيت عليهم السلام ضد أعدائهم، أي أن وقفتها هذه بمثابة وثيقة تكشف خروقات أي نظام حاكم مستقبلاً حتّى صار موقفها راسماً لمسار شرعيّة الخلافة وفاصلاً بينها وبين أي نظام مدّعى، لذا عمد بعض المؤرخين إلى تشويش وقائع الأحداث وإلغاء المواقف الفاطمية الفاصلة، بل جرّ بعضهم إلى إنكار بعض هذه المواقف الفاطمية لكيلا يرضخ لمعطياته ولوازمه الشّرعية التي تقضي بإلغاء شرعية حكومة الشّيخين، وما ذلك إلا لإقرارهم بحجيّة فاطمة عليها السلام ومقامها الإلهيّ، فكيف تثبت بعد تعريتها لمواقف القوم حجّة شرعيّة أو قانونيّة مدّعاة؟

وبعبارة أخرى: إنّ موقفها من الغاصبين للخلافة واحتجاج علي عليه السلام بها في مواجهتهم يدلل على مدى حجيّتها ومقامها في نفوس المسلمين وفي دين الإسلام حيث لم ينفع فيهم ما قد سمعوه من أقوال النبي صلى الله عليه وآله وقرأوه من آيات الكتاب وما شاهدوه من معاجز علي في الحروب، فبقيت محاجتهم بها عليها السلام مما يدلّل على تسليم المسلمين بأنها حجّة في الشرع، ومن ثم دأب الأوّل والثّاني وكثير من الصّحابة على ثنيها عن السّخط عليهم وعن تبرّيها منهم وعن مقاطعتها لهم، وألحّوا في استرضائها ولم يفلحوا، ومن ثَمَّ دأبَ علماء العامّة على إنكار مواجهتها لأهل السّقيفة ومقاطعتها لهم مما يدلّل على تسليمهم لحجيّة فعلها في الدّين ومن ثَمَّ يخشون من سلب الشّرعية عن خصومها.

(٦). المصدر السابق: ١٦ .

المقامات العليا للسيدة الزهراء عليها السلام

الشيخ عبدالله جوادي الآملي

قال مولانا جعفر بن محمد الصّادق : "لولا أنّ الله تبارك و تعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة عليها السلام ما كان لها كفوّ على ظهر الأرض من آدم و من دونه"[٧].

١. كل موجود يعدّ، في الرؤية العرفانية، مظهراً لإسم من أسماء الله الحسنى ومن هذه الجهة لا مثل له في دار الوجود؛ لاستحالة التكرر في نسق الوجود، لكن يمكن العثور على جهة اشتراك بين المظاهر الجزئية لكون الكثرة فيها ظاهرة والوحدة فيها مختفية، تجعلها متماثلة نوعاً ما. وكلما كان وجود الشيء محدوداً وضيقاً كان ما يماثله كثيراً و متعدداً، وكلما كان وجود الشيء واسعاً و غير متناه كان ما يماثله قليلاً و نادراً، حتى نصل إلى الوجود المحض [الحق تعالى] الذي لا مثل له:﴿ليس كمثله شيء﴾[٨]، ولا ندّ:﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾[٩].

وفي عالم ما سوى الله تعالى يمثل وجود النبي المبارك الذي لا نظير له في دائرة الممكنات مظهراً للإسم المبارك "الإسم الأعظم"؛ ذلك لأنّ مظهر الله تعالى الواحد الأحد واحد أحد أيضاً: ﴿ثمّ دنا فتدلّى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[١٠]. وإذا كان وجود في

(٧). الكافي،ج١،كتاب الحجة باب مولد الزهراء(عليها السلام)ص:٤٦١.

(٨). الشورى،الآية ١١

(٩). التوحيد،الآية ٤.

(١٠). النجم، الآية ٨-١١.

البين يقع قي مقابل وجود النبي المبارك يكون أدنى منه لا ندّ له [لا محالة]؛ لأنّ هذا المقابل يدخل تحت لواء حمد وجوده المبارك و يحتاج إلى شفاعته الكبرى. وإذا كانت هناك مرتبة تتحد فيها مع وجوده المبارك أنوار أخرى طاهرة فلا كلام هناك عن الندّ والنظير؛ لأنّ الكثرة في تلك المرتبة منتفية ومضمحلة كي نتكلم عن التساوي في الوجود أو التعالي في الوجود.

تأسيساً على هذا: لا يمكن أن يكون، في دائرة الخلق والإمكان، نظير لوجود النبي الأكرم، سواء كان ذلك من باب السالبة بانتفاء المحمول كما هو الحال في الفرض الأوّل، أو من باب السالبة بانتفاء الموضوع كما هو الحال في الفرض الثاني.

و كل ما نجده من تماثل في الموجودات المجرّدة يرجع إلى أوصاف تقع خارجة عن ذواتها، و كل ما نجده فيها من تمايز وعدم تساوي يرجع إلى أصل ذواتها: ﴿ما منّا إلّا له مقام معلوم﴾[١١]. والمراد من (المقام المعلوم)، الذي يعني في الآية الشريفة لا نظير له، هو هويته الوجودية لا ماهيتها المفهومية، بحيث إذا شارك الموجود الناقص فيها الموجود الكامل لا يزيده [الناقص] ذلك فضيلة، وإذا شارك الموجود الكامل فيها الموجود الناقص لا يزيده [الكامل] ذلك نقصاً.

٢. إنّ أساس كمال أي شيء أيّاً كان هذا الشيء وجوده الذي يشكل حقيقته لا الأشياء الخارج عنه كالأمور الماهوية والمفهومية التي لا سهم لها من الحقيقة الأصيلة، والتي لا تنوجد إلاّ على مستوى الأذهان وسهلة الصيد من أدوات الإدراك. وكلما كان وجود الشيء شديد الضعف كان العلم حضورياً أسهل، وكلما كان وجود الشيء أقوى كان العلم به حضورياً أصعب، حتى نصل إلى الوجود المحض الذي لا سبيل للعلم الحصولي [الذي يحمله عقل] الحكيم البحّاثة إلى ساحته المقدسة: لا يدركه بعد الهمم، ولا العلم الحضوري [الذي يحمله قلب] العارف الغواص يمكن له أن يصل إلى عمق المحيط الذي لا ساحل له: لا يناله غوص الفطن[١٢]. ولذا لا وجود في العرفان النظري لمسألة يشكل موضوعها الهوية المطلقة ومقام اللاتعيّن –مقام الذات-[١٣]، أمّا إدراك مظاهر هذه الهوية المطلقة فلا يتيسّر ذلك للعقل فحسب، بل يتيسّر حتى للإدراك الحسي أيضاً. أمّا إدراك الذات المقدسة أي تلك الهوية المطلقة والوجود الصرف فلا يحرم

(١١). الصافات، الآية ١٦٤.

(١٢). نهج البلاغة، فيض، الخطبة ١ ص: ٢٢.

(١٣). مصباح الأنس ، ص: ١٣-١٤.

منه الحس فحسب، بل حتى العقل لا يقدر على ذلك أيضاً: والعقل قاصر عن الوصول إلى سرادق جلاله[١٤].

طبعاً: إنّ أصل العلم بالذات المقدسة (من وجه لا بالكنه) بديهي لكل موجود يتمتع بنعمة الإدراك؛ لأنّه يدرك الذات المقدسة قبل إدراك ذاته ولوازم ذاته وحتى قبل إدراك وعيه الذي يدرك به، وهذا الوعي بالذات المقدسة أمر فطري كما جاء ذلك على لسان الوحي السماوي: ... أمّا الذات فستطلع أنّ القرآن يراه غنياً عن البيان[١٥]. ولا يوجد، في دائرة الإمكان، معرفة حصولية كانت أو حضورية أصعب من معرفة وجود الخاتم المبارك وأهل بيته الأنوار الطاهرة عليهم السلام: ... الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، و لا يعادله عالم، و لا يوجد منه بدل و لا له مثل و لا نظير ... و هو بحيث النجم من يد المتناولين، و وصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ و أين العقول عن هذا ...[١٦]

٣. إنّ كمال كل شيء يتمثل في وجود الشيء نفسه، ولا يتمثل في مفهومه أو في ماهيته، غير أنّ معيار كمال كل شيء يتمثل في وجوده الأوّلي والذاتي لا وجوده المادي الثانوي والعرضي؛ لأنّ من يحدد حقيقة كل شيء هي صورته النوعية الحاكية عن نحو وجوده لا أوصافه الخارجية التي تحكي عن نحو ارتباطه بما هو خارج عن حقيقته. وكمال الإنسان الذاتي المتمثل في وجوده الواعي والفعّال هو بما اكتسبه من معرفة صحيحة من المبادئ العالية، ويدبّر البدن وعالم الطبيعة بما يمتلك من إرادة [نية] التي تشكل عقل الإنسان النظري وعقله العملي. وتتمثل حقيقة الإنسان بلحاظ العلم في ذلك الفكر الخالص، و بلحاظ العمل في تلك النية الصافية التي تحشر في الآخرة في صورة ذلك العلم الكامل و تلك الإرادة الخالصة، و تنقطع عنها [في تلك النشأة] تلك الروابط العرضية [المجازية]: قيمة كل أمرء ما يحسنه[١٧].

و كما أنّه لم يكن للإنسان في بداية خلقه أيّ تأثير في ظهور حقيقته كذلك سوف لم يكن له أيّ سهم في نهايته و انتهائه: ﴿...فلا أنساب بينهم﴾[١٨]. وباعتبار أنّ الروح المجردة هي التي تؤمن للإنسان حقيقته وأنّ البدن في جميع المراحل [التكاملية] تابع لها، وباعتبار أنّ الموجود المجرد منزّه عن ظاهرة الذكورة والأنوثة ... فكل كمال وجودي يتحلى به الإنسان لا يتحلى به بصفته ذكراً أو بصفته أنثى، ومن هذه الجهة كان الكمال الحقيقي -وهو مقام الولاية الشامخ-

(١٤). تمهيد القواعد، ص: ١٨٨.

(١٥). الميزان، ج١، ص: ١١.

(١٦). الكافي، كتاب الحجة باب جامع في فضل الامام ص: ٢٠١.

(١٧). نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص: ٤٨٢.

(١٨). سورة المؤمنون، قسم من الآية ١٠١.

نصيباً لكل إنسانٍ مطهر حائز على الشرائط. نعم! قد وزّعت المناصب التنفيذية بحسب النظام الأحسن بين الرجل والمرأة، وبالتالي أناط الله تعالى بكل واحد منهما وظيفة خاصة.

ولذا نشاهد اسم مريم عليها السلام ذكر بجنب جملة من الأولياء: ... ذكر رحمة ربك عبده زكريا؛ ... واذكر في الكتاب مريم؛ ... و اذكر في الكتاب ابراهيم؛ ... و اذكر في الكتاب موسى؛ ... و اذكر في الكتاب اسماعيل؛ ... و اذكر في الكتاب إدريس(١٩)؛ وسر المطلب هو الذي ذكرناه وأنّ كمال حقيقة الإنسان ناشئ من روحه المجردة المبرأة من قيد الذكورة والأنوثة، والمنزهة أيضاً عن قيد العرق الأسود والأبيض وقيد اللّغة والزمن والمكان وما أشبه ذلك من الظواهر المادية.

٤. وإذا كانت السيد الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين ولم يكن لها كفو إلاّ علي عليه السلام، فهذا كله راجع إلى كمالها الوجودي ولا ربط لهذا بذلك العقد الإعتباري الذي لا يورث إلاّ كمالاً اعتبارياً ولا علاقة له بالكمال الحقيقي. فالكمال الذاتي والوجودي هو أساس كل كمال حقيقي، ومن هنا يجب أن لا ننظر إلى كمال الصديقة الكبرى الزهراء عليها السلام من زاوية العلاقات العرضية، فلم تكن خصوصيتها عليها السلام هي كونها زوجة علي عليه السلام لأنّ أولاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لم تنحصر فقط في الزهراء عليها السلام وزوجات علي عليه السلام اللآئي تشرّفن بهذه العلاقة العرضية لم تنحصر فقط في البتول عليها السلام. وأيضاً كون الزهراء عليها السلام أم الأئمة منقبة لم تنفرد بها لوحدها عليها السلام فقد فاقتها في ذلك فاطمة بنت أسد عليها السلام حيث كانت أم أمير المؤمنين عليه السلام وأم لأولاده المعصومين الطاهرين عليهم السلام؛ لأنّه إذا كانت فاطمة البتول عليها السلام أمّاً لأحدى عشر إماماً ففاطمة بنت أسد عليها السلام كانت أمّاً لإثنى عشر أماماً، و مع هذا لم تصل فاطمة بنت أسد أبداً إلى المقام المنيع الذي وصلته البتول عليها السلام. و إذا قامت هاته العلاقات العرضية والإعتبارية على وجود كامل فحتماً سيكون لها رونق أكثر.

الخلاصة: إنّ معرفة ماهية الإنسان المتعالي لا تتيسر إلاّ من خلال معرفة وجود هذا الإنسان، والمعرفة بأوصافه العرضية التي تعد معرفة رسمية أو معرفة اسمية [معرفة بما هو ليس من صميم الذات والحقيقة] معرفة غير عميقة وغير معتبرة [في حد ذاتها].

٥. أحسن طريق لمعرفة الزهراء عليها السلام تحليل [دراسة] الثقلين أعني القرآن الكريم وسنة المعصومين عليهم السلام، فلا يرقى شيء إلى مستوى هاتين الجوهرتين

(١٩). سورة مريم، الآيات ٢، ١٦، ٤١، ٥١، ٥٣و ٥٦.

في الكشف عن وجود تلك الذات المقدسة.

آية التطهير

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [٢٠]

إنّ الإرادة المنسوبة إلى الله - سبحانه و تعالى - في الآية الكريمة، إرادة تكوينية التي لا تتخلف عن مرادها أبداً:﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[٢١]، والتغاير المتحقق بين الإرادة والمراد شأنه شأن التغاير المتحقق بين الإيجاد والوجود، فهذا التغاير الواقع بينهما تغاير نسبي واعتباري في حقيقته وجوهره. وكون المراد حتمي التحقق في الإرادة التكوينية يرجع سرّه إلى أنّ الأشياء في النشأة الملكوتية لا يحكمها قانون التزاحم وبالتالي لا يوجد تعارض فيما بينها، فبمجرد [إعمال] الإرادة "كن" يتحقق بتبعها المراد "فيكون"، و ذكر حرف "الفاء" في "فيكون" لبيان الترتيب الوجودي وليس لبيان الإنفكاك الزماني وما أشبه ذلك. وما جعل الإرادة في الآية المباركة [آية التطهير] إرادة تكوينية هو أنّ إرادة الله تعالى تتعلق بفعله تعالى ولا تتعلق بفعل غيره تعالى ولا بسبب شيء آخر؛ ذلك لأنّ إرادة الله تعالى بتطهير الإنسان من خلال امتثال التكاليف هي إرادة تشرعية التي لا محذور عن تخلفها عن المراد، فما تعنيه الإرادة التشريعية هو أنّ الله تعالى قد أراد جعل القانون الذي تمثل حقيقته "إرادة التشريع" و هي بدورها إرادة تكوينية أيضاً. وبالتالي إنّ القانون المراد سوف يجعل حتماً ولا سبيل للتخلف في تشريع الحق تعالى و جعله، فالقانون بصفته أمراً دينياً يجعل بمجرد أن يعمل المشرّع إرادته، و معنى جعل القانون هو أنّ إرادة الإنسان المختار تقع فاصلة بين إرادة المشرّع و تحقق [مقتضى] القانون في الخارج، وهذا القانون قد يحققه الإنسان بحسن اختياره و قد يتركه بسوء اختياره، بخلاف الإرادة التكوينية التي تتعلق مباشرة بالمراد الخارجي الذي يمثل عين فعل الله تعالى والذي لا يقبل التخلف [بأيّ حال من الأحوال].

بناءً على ما سبق يتجلى الفارق بين آية التطهير و بين هذه الآية: ﴿ولكن يريد ليطهركم و ليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾[٢٢]؛ لأنّ الله سبحانه و تعالى بيّن أقسام الطهارة (الوضوء والغسل والتيمم) حتى يتمكن الإنسان المختار من إمتثال هذا التكليف بإرادته وبالتالي يصير ببركة هذا الإمتثال طاهراً، والتيمم

(٢٠). سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢١). سورة يس الآية ٨٢

(٢٢). سورة المائدة الآية ٦

وإن لطخه بالغبار لكنه يطهرّه من مطلق الأنانية والغرور وحب النفس، كما أنّ إعطاء الزكاة من الإنسان (وهو عمل عبادي واختياري) ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرّهم وتزّكهم بها﴾[٢٣] فإنّ هذا العمل (الإعطاء) سبب لتطهيره وتزكيته. فإذن: إذا نسب الله تعالى إرادة التطهير و التزكية إلى ذاته المقدسة من طريق التكليف فإنّها تكون حينئذٍ إرادة تشريعية و لا تكون إرادة تكوينية، فتنسجم مع تخلف المراد ولا تنافي الإرادة التكوينية الإلهية بعدم تطهير القلوب المريضة ولا بجعل الرجس على المتمردين عديمي الإيمان؛ لأنّه لا الإرادة التشريعية بالطهارة تناقض عدم الإرادة التكوينية بالطهارة، و لا أنّها تضاد الإرادة التكوينية بجعل الرجس أيضاً. و لهذا نجد الله تعالى في الوقت الذي يقول بالإرادة التشريعية للمكلفين كافة:﴿... يريد ليطهرّكم...﴾ يقول في الوقت نفسه بالإرادة التكوينية للمتمردين عن أوامره تعالى والمتشبثين بأذيال الكفر:﴿ ... أولائك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ... ﴾[٢٤]، وفي حين أنّه تعالى يقول بالإرادة التشريعية: ﴿... ويذهب عنكم رجز الشيطان ...﴾[٢٥] يقول بالإرادة التكوينية في حق الذين لا يعقلون و لا يؤمنون: ﴿ و يجعل الرّجس على الذّين لا يعقلون﴾[٢٦] و﴿كذلك يجعل الله الرّجس على الذّين لا يؤمنون ... ﴾[٢٧].

الخلاصة:

أنّ الله تعالى أعطى بإرادته التكوينية موهبة الطهارة عن كل رجس -سواء كان هذا الرّجس على مستوى المعرفة النظرية (العقل التظري) أو كان على مستوى النية والإرادة العملية (العقل العملي)- لأهل بيت العصمة والطهارة. و بمقتضى الحصر (حصر التطهير) فيختص هذا الفعل الإلهي (التطهير) بهاته الذوات الطاهرة ولم تشمل هذه الإرادة غيرهم، وبمقتضى الإستمرار المستفاد من التعبير بالفعل المضارع "يريد" نفهم أنّ هذا الفعل كان من الدفع وليس من الرفع، إذ لو تسلل الرّجس إلى ساحتهم المقدسة لحظة واحدة لما انسجم هذا الأمر مع دوام الفيض "إذهاب الرّجس" والتطهير من كل ذنب. و إذا كانت ساحة أهل بيت العصمة والطاهرة مصونة من كل ذنب ولا يمكن لأيّ رجس أن يتسلل إلى مقامهم المقدّس، يتبيّن لنا أنّه من المستحيل أن يخطر في قلوبهم المتيّم بحب الله تعالى ارتكاب ما يخالف الصواب. ذلك لأنّ تعبير الآية المباركة لم يكن أن نبعد أهل البيت عن الرّجس الذي ينسجم مع ما في باطنهم عليهم السلام، بل التعبير هو أن نبعد الرّجس عن ساحتهم المباركة وندفعه عنهم

(٢٣). سورة التوبة، الآية ١٠٣.

(٢٤). سورة المائدة، الآية ٤١.

(٢٥). سورة الأنفال، الآية ١١.

(٢٦). سورة يونس، الآية ١٠٠.

(٢٧). سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

عليهم السلام. والتعبير نفسه جاء في حق الصديق يوسف :﴿... كذلك لنصرف عنه السّوء و الفحشاء إنّه من عبادنا المخلّصين﴾[٢٨]، أي أننا قد صرفنا السوء والفحشاء عن ساحة يوسف الصديق عليه السلام وليس أننا صرفنا يوسف عن السوء والفحشاء.

بناءً على ذلك أنّه لا يمكن للذنب أن يتسلل إلى عباد الله المخلصين والصادقين، فالمستفاد من التعبير ﴿ليذهب عنكم الرّجس﴾ هو انصراف الرّجس عن أهل البيت عليهم السلام وليس انصرافهم هم عن الرّجس، وفي النتيجة أنّ والخيال المشوش [الأوهام الفاسدة] الذي يمثل رجساً نفسانياً لا يتسلل إلى عقلهم الطاهر أيضاً.

ولم يكتفي الله تعالى بإذهاب الرّجس عنهم عليهم السلام بل جاء بالتطهير المؤكد فإنّ الآية تقول: ... وطهّرهم تطهيراً ... وهذا الأمر يشير إلى أنّ ساحة العصمة ليست مصونة من تسلل أي رجس فحسب، بل أنّ آثار الرّجس كالغبار أو الرائحة أو اللون أو الشبح و... بعيد عن ساحة هذه الوجودات الإلهية الطاهرة.

للفخر الرازي كلام جميل في سرّ الجمه بين إذهاب الرّجس وتطهير هاته الذوات المقدسة، يقول: وفيه لطيفة وهي أنّ الرجس قد يزول عيناً ولا يطهر المحل، فقوله تعالى:﴿ليذهب عنكم الرّجس﴾ أي يزيل عنكم الذنوب ﴿ويطهركم﴾ أي يلبسكم خلع الكرامة[٢٩]. يعني أنّ الله تعالى يؤمن بهذا الإرادة المقدسة (إذهاب الرّجس) الصفات السلبية ويؤمن في الوقت نفسه بالتطهير الذي يمثل أمراً وجودياً خلع الكرامة التي تشكل محور الصفات الثبوتية، و هذا ما يجعل آثار طهارتهم عليهم السلام تنال غيرهم دائماً ولا تنال آثار الرّجس عصمتهم عليهم السلام أبداً. شبيه هذا ما نراه في حق المؤمنين يوم القيامة المشمولين برحمة الله تعالى الخاصة إذ ليس فقط لا تمسهم جهنم بل لا يصل إلى أذانهم حسيسها الذي هو أثر من آثارها، ولا يحزنهم الفزع الأكبر حين يفزع غيرهم: ﴿الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون * لا يحزنهم الفزع الأكبر ...﴾[٣٠]، ﴿فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله تعالى في داره * رافق بهم رسله وأزارهم ملائكته وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبداً﴾[٣١].

(٢٨). سورة يوسف، الآية ٢٤.

(٢٩). مفاتيح الغيب، مشهور بالتفسير الكبير ذيل آية التطهير.

(٣٠). سورة الأنبياء، الآيات: ١٠٣-١٠٢-١٠١.

(٣١). نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص: ٢٦٨.

ولما كان الإحاطة بمعارف القرآن الكريم غير ميسور بدون طهارة الضمير: ﴿إنّه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلّا المطهرون﴾[٣٢]، والذين طهرهم الله تعالى تطهيراً يمسّون الكتاب المكنون المحيط بالقرآن المنزل، وبالتالي إنّ أهل بيت العصمة و الطهارة يطلعون على جميع مدارج القرآن و معارجه ﴿إنّ درجات الجنة على قدر آيات القرآن، يقال له: أقرأ وارق، فيقرأ ثم يرقى ...﴾[٣٣].

و لا ينال درجة جنة اللقاء إلاّ من لمس بفضل الطهارة روح القرآن الكريم العلي الحكيم الذي هو عند الله تعالى في أم الكتاب: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * وأنّه في أم الكتاب لدينا لعلّي حكيم﴾[٣٤]، ومن التفت إلى وجوده أو إلى وصف من أوصافه كعلمه ومعرفته فلا يصل إلى الطهارة الخالصة: ﴿... فمن رزق الطهارة حتى عن الإخلاص فقد منح الإخلاص ...﴾[٣٥] وبالنتيجة لا يمسّ كنه القرآن ولا يصل إلى جنة اللقاء.

وباعتبار أنّ التطهير في الآية المباركة جاء مطلقاً ولم تشر إلى رجز ورجس خاصين فكل ما يعد سيئة حتى وإن كان حسنة الأبرار فساحة أهل بيت الطهارة عليهم السلام مصونة منها، بل إنّهم مطهرون حتى من الإلتفات إلى وجوداتهم المباركة ومواصفاتهم العطرة. وهذه هي الطهارة التي تشير إليها الرواية الشريفة الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام في ذيل الآية المباركة: ﴿وساقهم ربّهم شراباً طهوراً﴾[٣٦] حيث قال عليه السلام: ﴿...يطهرهم عن كل شيء سوى الله إذ لا طاهر من تدنس بشيء من الأكوان إلّا الله﴾[٣٧].

ثمّ جاء المفسرون وذكروا ما يشاب هذا القول في ذيل هذه الآية منهم الفخر الرازي في التفسير الكبير:" ... فإذا وصل إلى ذلك المقام و شرب من ذلك الشراب انهزمت تلك الأشربة المتقدمة بل فنيت لأنّ نور ما سوى الله تعالى يضمحل في مقابل نور جلال الله وكبريائه و عظمته، و ذلك هو آخر سير الصديقين ومنتهى درجاتهم في الإرتقاء و الكمال. فلهذا السبب ختم الله تعالى ذكر ثواب الأبرار على قوله:﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾[٣٨]"

(٣٢). سورة الواقعة، الآية ٧٧-٧٩.

(٣٣). الكافي، ج٢، باب قضل حامل القرآن، ص: ٦٠٦.

(٣٤). سورة الزخرف، الآية ٣-٤.

(٣٥). نهاية الفصل الرابع، مفاتيح غيب الجمع و الوجود.

(٣٦). سورة الأنسان،الآية ٢١.

(٣٧). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الآلوسي : ج ٢٧ ، ص ١٥٤ .

(٣٨). مجمع البيان.

”وجاء في تفسير أبي السعود بن محمد عمادي:"هو نوع آخر...كما يرشد إليه اسناد سقيه إلى رب العالمين ووصفه بالطهورية؛ فإنه يطهر شاربه عن دنس الميل إلى الملاذ الحسية والركون إلى ما سوى الحق، فيتجرد لمطالعة جماله ملتذاً بلقائه باقياً ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين، ولذلك ختم بها مقالة ثواب الأبرار"[٣٩]. والمراد من الأبرار في هذا البحث لا ما يقع في مقابل المقربين بل هو عنوان يشمل الاثنين.

وأحياناً إنّ التطهير من شهود غير الحق تعالى في جنة اللقاء سوف يظهر في صورة الشراب الطهور، والمطهر في الدنيا سوف يظهر في صورة ساقي العقبى، والمطهرون في هذا العالم هم من يشرب في عالم الآخرة كأساً طاهوراً. وهذه المراحل من بدايتها إلى آخرها لا تخلو منها فاطمة الزهراء عليها السلام شأنها شأن علي عليه السلام؛ ذلك لأنّ الكمالات المذكورة أعلاه كمالات أوليّة للإنسان الكامل أي بمنزلة فصله المقوّم وصورته النوعية، وليست للإنسان الكامل ككمالات ثانوية التي بمنزلة العرض والوجود النعتي.

(٣٩). تفسير أبي السعود، ج٩، ص: ٧٥.

منهج البحث في شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام

العلامة المنار

• مقتطف من كتاب [تأملات على أعتاب الزهراء]

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتي الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أدعو جميع الباحثين في بلادنا أن يهتموا بدراسة شخصية السيدة الزهراء عليها السلام بطريقة جديدة ، وفق منهج دراسي يحاول استكشاف الحقائق في شخصيتها بالمزج بين علم التاريخ وعلوم أخرى (الدين والسياسة والأخلاق والقانون وغيرها).

ومن أجل أن نضع منهجاً بسيطاً للدراسة يجب أن أقدم مقدمةً صغيرةً يُبنى عليها المنهج:

كلُ إنسان حينما تدرس شخصيته، يعنى إلى دراسة فترة فاعليته وإلى نوع فعله، وليس إلى فترات تحضيره كإنسان، فالعالم تدرس فترة عطائه ونوع عطاءه، والمخترع تدرس فترة اختراعاته ونفس اختراعاته، والمؤلف تدرس مؤلفاته وظروفها المحيطة بالمؤلف.

وأغلب فترات عطاء الإنسان هي بعد نضجه العقلي وتراكم الخبرات وتعاظم المعرفة لديه لينتج إنتاجاً منظوراً في عالم الفكر والواقع. وفترة النضج طبيعياً كانت لا تقل عن أربعين عاماً في حياة الإنسان . ثم بعدها يبدأ إنتاجه في التبلور.

وهذه الفترة كانت تسمى فترة العقل واكتمال الشخصية.

لقد اخترع الإنسان طريقة التعليم المكثف، فقلل من فترة النضج باعتبار أن الإنسان قابل للتعلم، وكثف فترة النضج فأصبح الإنسان يمكن أن يبدأ في الإنتاج في سن مبكرة بحدود خمس وعشرين عاماً من عمره ويبدأ في بلورة إنتاجه وتطويره نحو الكمال في فترة عشر سنوات فيكون الإنسان في عصر التعليم المكثف منتجاً متكاملاً فكرياً في فترة خمس وثلاثين، ولكن العباقرة والأذكياء قد يصل قمة إنتاجهم في الثلاثين عاماً.

نأتي إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام .

فإنها ولدت سنة خمس من المبعث بمكة في العشرين من جمادى الآخرة، وأن النبي صلى الله عليه وآله قبض ولها ثمانية عشر سنة وسبعة أشهر.

وفي أبعد رواية أن الزهراء ماتت وعمرها ثلاث وعشرون سنة. ولكن النصوص الصحيحة والصريحة هو أنها ماتت ولم تبلغ العشرين بل هي بنت الثمانية عشر.

وهذا يعني أن الزهراء بالمقياس الطبيعي لم تصل حتى للعمر الذي ينتج فيه العباقرة. فلو أنتجت شيئاً متميزاً في الإنسانية، لكان يفوق إنتاج العباقرة بمسافة، باعتبار عدم الوصول إلى نهاية الفترة التحضيرية لنضج حتى الإنسان العبقري، فكيف نضجت واكتملت الزهراء؟ إنها لمعجزة حقيقية.

ثم نأتي إلى فترة الفاعلية؟

فترة الفاعلية بالنسبة للإنسان قد تكون فترة قصيرة كمعركة قتال يتحدد فيها تاريخ الإنسان. وهي قد لا تتجاوز الساعات أو الأيام، وهذا لا يكون في عالم الإنتاج الفكري، لأنه عالَمٌ معقدٌ وبطيءٌ في تكوينه، فمن يريد أن ينتج فكراً لا يمكنه عادةً أن ينتجه دفعة واحدة وفي فترة قصيرة جداً.

ولكن ما هو حال الزهراء عليها السلام ؟

الزهراء لم تخرج إلى عالم الفاعلية إلا بعد وفاة الرسول وقبل وفاتها ، ولكن كم هذه الفترة؟

الفترة تتراوح بين خمس وأربعين يوما وبين أربعة اشهر في أبعد رواية يمكن الركون إليها، وحقيقة التعرض الفكري والإنتاج الثقافي لم يكن أكثر من عشرين مقابلة وخطبتان أو أربع خطب.

ولكنها شغلت الدنيا بفكرها وإنتاجها إلى هذا اليوم، ولو تمعنا لوجدنا إن أغلب الحراك السياسي والفكري في عالمنا الإسلامي، يرجع إلى تحرك الزهراء عليها

السلام، وكل حراكنا، وصراع الحركات الإسلامية، هو عيال على حركة الزهراء عليها السلام.

أليس مذهلا أن تنتج بنت الثمانية عشر عاماً حركة فكرية هائلة يقوم عليها فكر عظماء وأكابر أمة بأكملها من ألف وأربعمائة سنة إلى هذا اليوم؟ ولم تنتهي جذوة عطائها.

إنها لمعجزة حقيقية ..

وهذه وحدها تحتاج إلى دراسة وتمعن في ظاهرتها الفريدة. فهي لم تقف موقفاً سلبياً أو ايجابياً يتصف بوحدة الموضوع أو ضيقه ، إنما أثارت زوبعة هائلة من مختلف المواضيع ومختلف الإتجاهات، وكأنها هيجت نار الحقيقة لتكشف عن نفسها بعد أن غطاها رماد بسيط.

فقد قدّمتْ الزهراء عليها السلام الفقه والقانون والحكم العقلي والحكمة واللغة والمنطق والسياسة والدين والعقيدة والتاريخ والنظم القيادية الإنسانية ومارستها، كما قدمت الإعلام الواعي، والتبليغ والوعظ والإرشاد، والنقاش، والمحاورة الهادئة تارة، والعنيفة أخرى، بكل صورها من دون خروج على أصل مواضيع الحوار، وقدمت العاطفة والشجاعة المفرطة والقوة الهائلة مع الضعف البين، إنها قدمت مواضيع تجلّ عن الحصر فقد كانت كأنها مبرمجة لتقديم كل لحظة وكل حركة بطريقة واعية تعالج بها الواقع والمستقبل بشكل لا يمكن فهم عمقه، ولكنه يصنع التاريخ ويبرمج التاريخ والمعارف بكل يسر وسهولة.

هذا شيء لا يمكن وصفه بكلمات بسيطة.

وهو حالة يمكن التوقف عندها في حيرة وذهول وتجمد أعضاء لا يعرف الإنسان ما يقول فيها.

فإذن نحن أمام ظاهرة كبيرة جداً، حيث عدم التناسب بين فترة الفعالية، وبين حجم الحدث تاريخياً، وبين عمر صاحبة الحدث، وبين ضخامة الحدث وامتداداته التاريخية.

فلهذا يجب أن يكون هذا بالذات منطلقاً في تفسير هذه الظاهرة ودراستها بعمق.

وعلينا دراسة كل شارة وواردة خلال هذه الفترة القصيرة جداً من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام وصناعتها للحدث .

فلو نظرنا في فترة فاعلية بحدود خمسين يوماً، بل بحدود أقل من عشرين تحركاً، ومِنْ شابّةٍ لم تتجاوز التاسعة عشر من عمرها، ومِنْ محجبة مستورة لم تخرج للناس قبلاً، فسنجد أشياء مدهشة جداً، ففي تحركها كان أول تحرك

سياسي معارض في الإسلام، أسس الأساس الفكري المذهبي، وبذلك الموقف وبيانه -من قبل الزهراء عليها السلام - تأسس لأول مرة فقهاً سياسياً في الإسلام بشكل واضح المعالم، لما بعد فترة الرسول، وكان على أساس فكري يناقض سياسة (نصلي خلف من غلب بالسيف) وإنما بسياسة (نتبع الحق) ، وقد كان هذا التحرك مصحوباً بالمحاججات والمحاكمات وطرح الأفكار وتحديد المعالم، فقد حَدَّدت معالم فقه متكامل، وأَسّست لموضوع الشرعية الدستورية في الإسلام , وأسست لموضوع الفرق بين ملكية الحاكم وملكية الشعب، وأسست لموضوع البناء الإقتصادي للفرد المسلم في ظرف دولة الإسلام ونادت بعدم جواز سلب الفرد ممتلكاته بحجة تأميمه بالملكية العامة، وهي أول من ناقش في حوار الديانة على أساس حضاري، حيث قارنت بين منجزات الإسلام الحضارية وبين منجزات الشرك والضلال، ودعت إلى عدم النكوص بعد التقدم الحضاري (تشربون الطرق . وتقتاتون القد، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيّا والتي)، وقد أسّست لأخلاقية الخلافات السياسية والتعاطي السياسي، وحدّدت المعالم القانونية حتى لشخصية الرسول ولشخصية الحاكم، فقد أسست مبدأ أن أحكام الإسلام الدستورية تشمل النبي ولا تقفز عليه ليكون مهدوراً، وهذا أمرٌ لم يكن مفهوماً جيداً في تلك الفترة العصيبة، وقد أسّست لأول منظومة حقوقية تتعلق بالحق والحرية والإلتزام، فقد وازنت بين الحق والإلتزام، بشكل قانوني ملفت للنظر، وأكّدت أن الفقه الإسلامي قائمٌ على أساس نظريات الإلتزام والحق وحرية الإنسان، وأسّست لدخول المرأة معترك السياسة على أساس الحق، ونبذ المخالفة (نظرية المحاسبة الجماهرية)، وقد أسست الخطب النسائية الجريئة الرنانة، والبلاغة الفريدة والأدب النسائي الرفيع، وقامت بدور القيادة النسائية. ومن يتابع كل ما فعلت فسيجد إعلاناً وتأسيساً لمعارف وأحداث نعيشها لحد هذا اليوم، كان نتيجة حتمية لقيام الزهراء عليها السلام بحركتها المباركة.

فعليه نقترح على الباحثين في المستقبل أخذ هذا بنظر الإعتبار، وتأسيس المنهج الدراسي عليه .

والمنهج المقترح هو :

١.دراسة الأثر الفقهي في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٢.دراسة الأثر التاريخي في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٣.دراسة الأثر الاجتماعي في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

٤.دراسة الأثر السياسي في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام
٥.دراسة الفكر الديني السياسي من خلال هذه الفترة الفاعلة من حياة الزهراء عليها السلام
٦.دراسة الأدب في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام
٧.دراسة البلاغة في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام
٨.دراسة المبادئ الأخلاقية في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام
٩.دراسة محاولة بناء فكرة الإمامة والتصريح بها في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام
١٠.دراسة تأسيس المذاهب من موقف الزهراء عليها السلام في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام
١١.دراسة نفسية لكل عناصر الحدث في هذه الفترة المعطاء من حياة الزهراء عليها السلام

إن هذه الدراسات يجب أن تكون موسعة وشاملة وبموسوعة متكاملة يقوم بها عشرات بل مئات الباحثين، يذكّر احدهم الآخر ما أغفل عنه أو تجاوز، لتكون هذه الدراسات منبعاً حقيقياً لفهم تلك المرأة الإستثنائية، التي نعجز كبشر عاديين أن نفعل فعلها، أو نكون شبيها لها، حيث إن ما قامت به يفوق كل التصورات، وهذا نوع معجز يؤكد معنى العصمة، ويرسخها عملياً، وهو ما نريد فهمه بشكل عملي، قبل أن نفهمه بشكل نظري فلسفي محض.

لو أردنا أن نعطي أمثلة وشروحاً لكل دراسة مقترحة، لما كفّتنا أيام من الإجتماعات المغلقة لنقرأ فيها التصورات، ولكن ما أن يبدأ الباحث بوضع يده على أساس العنوان الذي يبحث عنه حتى يجد المزيد من الثراء الذي لم يتخيل وجوده في مثل هذا البحث.

اشكر لكم حسن استماعكم ولكم مني ألف تحية وسلام

الهدف من الخِلقة

الشيخ الوحيد الخراساني

مقتطف من كتاب [الحق المبين]

إنَّ الهدف من الخلقة هو معرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته . . معرفة لا يمكن أن تتأتى من غير طريق الوحي، وتخمد أمام عظمته وكبريائه مشاعل العقول، وما تنسجه الأفكار وتحكيه الأوهام عن ذاته سبحانه وصفاته وأفعاله ما هي إلا ظلمات بعضها فوق بعض : «كُلُّ ما مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهامِكُمْ في أَدَقِّ مَعانِيهِ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلُكُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ»[(٤٠)]. سبحانه من عظيم تاهت الفطن فى تيّار أمواج عظمته، وحصرت الألباب عند ذكر أزليته، وتحيّرت العقول في أفلاك ملكوته.

والمنار لبلوغ (نُورُ السَّمواتِ وَالأَرض)[٤١] منحصر في مشكاة قلب أضاءه مصباح الوحي : (كِتابٌ أَنزَلْناهُ إِلَيكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّور)[٤١]، والعبادة تليق ذاك السبّوح القدّوس الذي خلق الإنسان ـ الذي لم يكن شيئاً مذكوراً ـ من نطفة أمشاج ، وجعله سميعاً كي يسمع آيات شريعته، وبصيراً حتى يرى آيات حكمته، وخلق من الماء المهين خلقاً يرقى إلى مقام العقل واليقين، وعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين . . (فَتَبارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخالِقين)...

إلاَّ أنَّ عبادة الله الذي ليس كمثله شيء مثل معرفته لا تتيسر إلاَّ بما شرَّعه

(٤٠). بحارالأنوار ٢٩٣/٦٦

(٤١). سورة ابراهيم : ١٤

(٤٢). سـورة المؤمنون ٢٣

«العلي العظيم» وأبلغه لنا بواسطة الأنبياء العظام كي يدعى «ذوالجلال والإكرام» بأسماء الجمال والكمال التي هي خزائن جواهر عرفانه عزّوجلّ (وَلِلّهِ الأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها)[٤٣].

وتلك المعرفة والعبادة التي هي الغرض من خلق الإنسان والخليقة ، وحصيلة بعثة الأنبياء . . بلغت الغاية ببعثة الخاتم للنبيين الذي هو «الخاتِم لما سَبَق» و«الفاتِح لمَا استُقْبِل» وبذا بلغ حد الكمال.

وهذه الشجرة الطيبة الذي غرسها ربُّ العزَّة بعين الحكمة ويد القدرة في أرض الفطرة البشريَّة (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها)[٤٤]. أينعت وتكاملت وأتت أُكلها بوجوده صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم الذي قال: (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً)[٤٥]. فجمع ما أمكن أن يكون من معالم الهداية في مدينة العلم والحكمة الخاتمية ، وبحكمته البالغة، قد حصر تلك المدينة بحصن حصين لا ينفذ فيه الخطأ والهوى كي لا تدنس العقول الناقصة والقلوب الفاسدة جواهر العلوم الربانيَّة و الحِكَم الإلهيَّة، ولم يترك لتلك المدينة منفذاً سوى الصراط المستقيم للولاية الكبرى ، ولم يفتح باباً للخلق والخليقة سوى باب الإمامة العظمى الملازمة للعصمة المطلقة من كل خطأ وسهو وهوىً ونسيان..«أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِّي بابُها»[٤٦]...

ومن الضروري أن يُعلَم أنَّ الحلقة الرابطة لعرى الأُمَّة إلى يوم القيامة بتلك الرسالة العظمى والإمامة الكبرى ما هي إلا الإنسيَّة الحوراء..فاطمة الزهراء عليها السلام .

تلك هي الوسيلة الوحيدة لامتداد الوجود الخاتم في هذا العالم . . إذ إنَّ نسلها سلام الله عليها يمثِّل البُعد المُلكي له صلى الله عليه وآله، كما وأنَّ البُعد الملكوتي لدينه صلى الله عليه وآله باق بالأئمّة من ولدها عليهم السلام .

تلك هي الوسيلة لبزوغ الكواكب السماويَّة للإمامة ; إذ مظهر أُفق وجودها مشرق الحلم الحسني، والشجاعة الحسينيَّة، والعبادة السجاديَّة، والمآثر الباقريَّة، والآثار الجعفريَّة، والعلوم الكاظميَّة، والحُجَج الرضويَّة، والجود التقويَّة ، والنقاوة

(٤٣). سورة الأعراف : ٧

(٤٤). سورة الروم : ٣٠

(٤٥). سورة المائدة : ٥

(٤٦). عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢/٦٦ ، المستدرك على الصحيحين ٣/١٢٦ ومصادر أُخرى من الخاصة والعامة

النقويَّة ، والهيبة العسكريَّة . . من الحسين ـ الذي هو مصباح الهدى وسفينة النجاة ـ إلى المهدي الموعود ـ الذي هو منتهى مواريث الأنبياء ـ و «بيُمنِهِ رُزِقَ الوَرى» و«بِوُجودِهِ ثَبَتَتِ الاَرضُ وَ السَّماء» ثمرة تلك الشجرة الطيبة التي (أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها)[٤٧]...

والحاصل: أنَّ الجواهر المكنونة في الخزائن الإلهيَّة ما هي إلا من صدف عصمتها ، والسراج المنير لنبوة الأنبياء ـ من آدم إلى الخاتم ـ والمشعل الوهَّاج لإمامة أئمَّة الهدى مستنير بنور وجودها ..

وآخر هذا المكنون من هذا الصدف ، والكوكب الدرِّي لهذا الفلك هو الذي «يمْلَأ اَلاَرْضَ قِسْطاً وَ عَدْلا كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَ ظُلْمًا»[٣].. وغيرهم. وبوجوده يصدق تأويل قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)[٤٩]. وبظهوره يعلم تفسير قوله عزَّ اسمه: (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها)[٥٠] وليعلم أنَّ قدر (ليلة القدر) التي هي «مَنزِل كتاب الله الأعظم» مجهول، ودرك مقام تلك العطيَّة الكوثريَّة «عطيَّة ربِّ العرش العظيم» للرسول الكريم عن عقولنا محجوبٌ.

وما أقرّ بصدوره العامَّة والخاصة على لسان رسول الأكرم ﷺ الذي (ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى)[٥١]. واعترفت به نقَّاد الحديث الذين لا يُلوون جهداً في تضعيف أسانيد الأحاديث الواردة في فضائل أهل بيت العصمة والطهارة .. قد أعجزهم المس في سند هذا الحديث .. بل الكل أقرَّ بصحته وتماميَّته على جميع المباني والشروط عند المشائخ ، وشهدوا على قول رسول الله ﷺ : «فَإِنَّما هِيَ (فاطِمَةُ) بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي ما أَرابَها وَ يُؤْذِينِي ما آذاها»[٧]. ومصادر أُخرى من العامة والخاصة . وقوله ﷺ : «فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَنِي»[٥٣]، إذ عبَّر عن فاطمة بأنَّها بضعة من وجوده وإنيَّته ..

ذاك الذي كان «أوَّل ما خلق»[٥٤]. و«أفصح من نطق»، واسم الله الأعظم في الأسماء الحسنى، ومثل الله الأعلى في الأمثال العليا..قد عبّر بأنها السبيكة المسبوكة من وجوده; فعدَّ غضبها غضبه ، الذي غضبه غضب الله ..

وهذا مقام يحكي من تفرُّع فاطمة من مثَل نور الله وانعكاس غضب الله

(٤٧). سورة ابراهيم : ٦٣

(٤٨). أمالي الشيخ الصدوق : ٧٨ مجلس ٧ حديث ٣ ، ومسند احمد بن حنبل٣/٣٧ .

(٤٩). سورة التوبة : ٩

(٥٠). سورة الزمر : ٣٩

(٥١). سورة النجم (٥٣)

(٥٢). صحيح البخارى٦/٢١٠ باب مناقب قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وباختلاف يسير في الإيضاح : ٥٦١ .

(٥٣). انظر: صحيح البخاري ٦/٢١٠ باب مناقب قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والطرائف :٢٦٢ . و مصادر أُخرى من العامة والخاصة .

(٥٤). إشارة إلى حديث العاشر من أُصول الكافي ١/٦٦٢

ورسوله ورضاهما في غضب الصديقة الكبرى ورضاها ..

وقد نقل الفريقان أنّه ﷺ قال لفاطمة ﴿عليها السلام﴾ : «اِنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ وَ يَرْضى لِرِضَاكِ ».(٥٥)

ومقام العصمة الذي هو أعلى مراتب الكمال الإنساني لا يكون إلاَّ بدوران غضب العبد ورضاه مدار رضا الله وغضبه سبحانه..

وإذا كانت العصمة الكبرى تعني وصول الإنسان الكامل إلى مقام يرضى معه برضا الله ويغضب لغضب الله بقول مطلق، فإن فاطمة الزهراء ﴿عليها السلام﴾ وصلت إلى مرتبة يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها بقول مطلق، وهذا مقام يحار فيه الكمّل!

تلك هي مشرق الأنوار لنجوم سماء الولاية ، ومخزن الأسرار لتخوم كتاب الهداية ..

تلك هي زوجة وأُمُّ اثني عشر سيِّد من ولد إسماعيل الذي جاء ذكرهم في الباب السابع عشر من سِفر التكوين من التوراة ، وخبَّر الله بهم إبراهيم الخليل ..

تلك هي العلامة العظمى في السماء التي ظهرت في مكاشفات يُوحنًا .. امرأة قد احتضنت الشمس ، والقمر تحت قدميها، وعلى رأسها تاج من اثني عشر كوكباً (٥٦)

تلك في سورة (حمّ) تأويل «الليلة المباركة» التي (فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْر حَكِيم) ((٥٧))

تلك (نِسَاءنَا) (٥٨) في القرآن المجيد; ذاك الجمع الذي انحصر بفرد واحد ..

تلك وبعلها..بحر النبوة والعلم الذي بهما أُوِّل قوله عزَّ من قائل: (مَرَجَ الْبَحْرَينِ يَلْتَقيانِ)(٥٩)

تلك المرأة الوحيدة التي عدَّ الله سبحانه دعاءها عِدل دعاء خاتم النبين وسيد

(٥٥). أمالي الشيخ الطوسي : ٦٢٧ ، المستدرك على الصحيحين ١٥٦/٣ .

(٥٦). مكاشفات يوحنا الرسول باب ١٢ . .

(٥٧). سورة الدخان : ٦٣ وانظر : أُصول الكافي ٦٧٩/١

(٥٨). سورة آل عمران (٣) : ٦١.

(٥٩). سورة الرحمن (٥٥) : ١٩ ، وانظر : الخصال : ١٦٥.

الوصيين في يوم المباهلة ..

تلك وحيدة الدهر التي توَّجها الله بتاج : (إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً)[٦٠].

تلك التي شاهد رسول الله ﷺ يوم المعراج مكتوباً على باب الجنَّة : «فاطِمَةُ خِيَرَةُ اللهِ»[٦١]; نعم تليق لأحمد المختار خيرة الله.

تلك التي قال فيها رسول الله ﷺ : «وَ أُبْعَثُ عَلَى البُراقِ خُطْوُها عِنْدَ أَقْصى طَرْفِها وَ تُبْعَثُ فاطِمَةُ أَمامِي»[٦٢]...

تلك كفاها أنَّها تحشر يوم النشور قدَّام «إِمَام الأوَّلين و الآخرين» كي يتجلَّى معنى (يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْديهِمْ)[٦٣] . . .

ذاك النور الذي يتقدَّم يوم الجزاء صاحبه الذي عبَّر عنه ربُّ العزَّة في كتابه المجيد بـ :«السراج المنير» ، وجعله مثَل نوره في آية النور.

وكفى في شخصيتها أنَّها أوَّل من ترد على بساط القرب الذي هو (فِي مَقْعَدِ صِدْق عِنْدَ مَلِيك مُقْتَدِر)[٦٤]، «أَوَّلُ شَخْص يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فاطِمَةُ عليها السلام »[٦٥].

وحيث استقرَّت في مستقرِّ رحمته زارتها الأنبياء كلاًّ : «زارَكِ آدَمُ وَ مَنْ دُونَهُ مِنَ النَّبِيِّين»[٦٦]

تلك الجوهرة الفريدة الوحيدة التي منّ الله تعالى بوجودها الذي صار سبباً لامتداد أشعة رسالة أبيها ﷺ ـ على النبي الخاتم حيث قال :(إِنَّا أَعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) ومنّ الله ببعثة النّبي على المؤمنين إذ قال : (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيَن إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ)[٦٧].

إنَّ خزائـن علـوم الأئمـة المعصومـين سـلام اللـه عليهـم أجمعـين ـ بعـد القـرآن المبـين ـ قـد خزنـت في ثـلاث صحـف مخزونـة مكنونـة عندهـم، وهـي: الجفـر، والجامعـة، ومصحـف فاطمـة عليها السلام .

(٦٠). سورة الإنسان (٧٦) :٩ ، وانظر : الإرشاد ١٧٨/١.

(٦١). تاريخ بغداد ٢٦٤/١

(٦٢). المستدرك على الصحيحين ١٥٤/٣

(٦٣). سورة الحديد (٥٧) : ١٢

(٦٤). سورة القمر (٥٦) :٥٥.

(٦٥). ميزان الاعتدال ١٣١/٢

(٦٦). تفسير فرات الكوفي : ٤٤٦

(٦٧). سورة آل عمران (٣) : ١٦٤

إذ بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الدنيا الفانية ، وابتلاء الصديقة الكبرى بالحزن الشديد لفراق أبيها ، فطبقاً للحديث الصحيح المروي عن الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « . . كان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيِّب نفسها ، ويخبِّرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرِّيَّتها ، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك . . »[٦٨]..

فهذا مصحف فاطمة عليها السلام . . الحاوي علم ما يكون .

والذي يلزم أن يعلم أية قدرة في تلك النفس القدسيَّة .. وأي جذبة في بضعة الحقيقة المحمديَّة التي جذبت بحقيقتها شديد القوى من الأُفق الأعلى ، وقهرت بقدرتها روح الأمين من سدرة المنتهى.

نعم; السلام، والسلامة من أكدار العالم المادي في ليلة القدر التي هي مطلع الفجر لشموس سماء الولاية أوجبت أن تتنزل الملائكة والروح.

وفي الحديث الصحيح عن موسى بن القاسم أنَّه قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك . فقيل لي: إنَّ الأوصياء لا يُطاف عنهم ! فقال: «بلى ، طف ما أمكنك، فإنّ ذلك جائز»، ثم قلت له ـ بعد ذلك ـ بثلاث سنين : إني كنت استأذنتك في الطواف عنك وعن أبيك، فأذنت لي في ذلك، فطفت عنكما ما شاء الله. ثم وقع في قلبي شيء فعملت به ، قال: «وما هو ؟» قلت: طفت يوماً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ثلاث مرات: «صلى الله على رسول الله» ، ثمَّ اليوم الثاني عن أمير المؤمنين عليه السلام، ثم طفت اليوم الثالث عن الحسن عليه السلام، والرابع عن الحسين عليه السلام والخامس عن علي بن الحسين عليه السلام، واليوم السادس عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، واليوم السابع عن جعفر بن محمد عليهما السلام، واليوم الثامن عن أبيك موسى عليه السلام، واليوم التاسع عن أبيك علي عليه السلام، واليوم العاشر عنك يا سيدي! وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم. فقال: « إذاً والله تدين الله بالدين الذي لا يقبل من العباد غيره ». فقلت: وربَّما طفت عن أُمِّك فاطمة عليها السلام، وربَّما لم أطف .

فقال: «استكثر من هذا فإنَّه أفضل ما أنت عامله ، إن شاء الله»[٦٩]..

(٦٨). أُصول الكافي ١٦٢/١

(٦٩). الكافي ٣١٤/٤ حديث ٢، وعنه في وسائل الشيعة ٢٠٠/١١ أبواب النيابة في الحج باب ٢٦ ، ولاحظ : التهذيب ٦٥٠/٥ حديث ١٥٧٢

والتي إذا أُضيف لها طواف بيت الله الحرام صار ذلك الطواف أفضل الأعمال ، لا يمكن تحريرها أو فضائلها أو تقدير قدرها .

إنَّ أضواء الكمال وأنوار الجلال الساطعة من تلك الشمس البازغة في سماء العصمة.. ممَّا لا تَسَعُه العقول الجزئيَّة . . وما كان قصدنا هنا إلا الإشارة والتذكرة لأولي الألباب .

جدول الأحداث بعد استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

الشيخ علي الكوراني العاملي

• مقتطف من كتاب [جواهر التاريخ ج١]

حاولتُ أن أضع تقويماً زمنياً لمراسم تغسيل النبي صلى الله عليه وآله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، يضم الأحداث الخطيرة التي وقعت أثناء ذلك وبعده ، الى أسبوعين من وفاته صلى الله عليه وآله ، فوجدت ذلك مهمة صعبة ، لأن رواة الخلافة القرشية حرصوا على التعتيم عليها وتشويشها ! فجاءت نصوصها متضاربة ، ينفي بعضها الآخر !

وتذكرت ماجرى للشيخ متولي شعراوي عندما قرأ في محاضرته في التلفزيون المصري كلام علي في وداع فاطمة بعد دفنها عليهما السلام، وعلَّق عليه الشعراوي بأنه يدل على وجود أحداث خطيرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ينبغي أن نكشفها !

والكلام الذي قرأه الشعراوي هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي تقدم بعد دفنه فاطمة الزهراء عليها السلام : (السلام عليك يارسول الله ، عني وعن ابنتك النازلة في جوارك.... وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها ، فأحفها السؤال واستخبرها الحال ! هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر...الخ).

وفي اليوم الثاني لكلام الشعراوي خرجت صحيفة مصرية تتساءل: هل تشيع الشعراوي ؟! وبذلك أسكتوه عن البحث في تلك الأحداث ، بل عن ذكرها !

فإذا كانت هذه حال عالم سني معروف كالشعراوي ، وبعد ألف وأربع مئة سنة من الحادثة ، وفي مصر التي يحب شعبها أهل البيت وفاطمة الزهراء عليها السلام خاصة ! فما بال من يحاول كشف تلك الأحداث في عصور حكم الخلافة القرشية؟!

إن العجيب حقاً هو ما وصل إلينا، وليس العجيب ما أخفوه ولم يصل!

وهذا تقويم تقريبي لتلك الأحداث ، وهو قابل للإتساع:

١. يوم الأحد لَدَّتْ عائشة وحفصة النبي صلى الله عليه وآله أي سقتاه (دواء)في حال إغمائه رغم نهيه المشدد عن ذلك كما في البخاري! فلما أفاق من إغمائه غضب من فعلهما، وأمر أن يسقى كل من كان موجوداً غير بني هاشم من ذلك الدواء! وتدهورت حالة النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك حتى توفي في ظهر يوم الإثنين![٧٠]

٢. كان عدد الطلقاء الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وآله في جيش أسامة سبع مئة نفر وأرسل أبا بكر وعمر وغيرهم، وقد تباطأ قسم منهم عن الإلتحاق بمعسكر أسامة في الجرف، ثم ترك المعسكر من التحق منهم يوم الأحد، وعادوا الى المدينة! قال: (وعند الواقدي أيضاً أن عدة ذلك الجيش(جيش أسامة) كانت ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة من قريش)[٧١].انتهى.

٣. باشر علي عليه السلام بمراسم تجهيز النبي صلى الله عليه وآله بعد ظهر الإثنين إلى صباح الثلاثاء وأذن للمسلمين أن يصلوا على جنازته فرادى، من ضحى ذلك اليوم إلى العصر، ثم أخذ يواجه ضغط أبي بكر وعمر ومبعوثيهما، ثم مجيئهما إلى بيته يطالبونه ومن معه بالبيعة لهم، ويهددونه بالهجوم على بيته إن لم يبايع!!

٤. دبَّر الحزب القرشي بيعة أبي بكر في السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بساعة أو ساعتين فقط! وساعدهم بعض الأوس حسداً لسعد بن عبادة رئيس الخزرج أن يصير هو الخليفة ! ولم يثبت أن سعداً أو أحداً من الأنصار دعا إلى اجتماع في السقيفة لبحث خلافة النبي صلى الله عليه وآله، بل كانت السقيفة محل

(٧٠). صحيح البخاري:١٤٣/٥و١٧/٧، وغيره

(٧١). فتح الباري:١١٦/٨

ضيافة سعد، وهي فسحة من الشارع مسقوفة سميت باسم جيرانها بني ساعدة الخزرجيين، وكان سعد مريضاً نائماً فيها يزوره الناس، فاختارها الحزب القرشي مكاناً للصفق على يد أبي بكر لوجود سعد وبعض الأنصار حوله، فتركا جنازة النبي صلى الله عليه وآله وأسرعا الى السقيفة، وفتحا الموضوع وناقشا سعداً ومن حضر، فقال بعض الأنصار لانبايع إلا علياً، وقال بعضهم إن لم تريدوا علياً فالأنصار وسعد أولى منكم، فبادر أبو بكر الى القول إني رضيت لكم أحد الرجلين عمر أو أبا عبيدة فبايعوا أحدهما! فقال عمر لا نتقدم عليك، وأخذ يده وصفق عليها هو ثم أبو عبيدة، ثم بايعه ثلاثة أشخاص من الأوس المضادين لسعد! ولم يعيروا بالاً لاعتراض سعد بن عبادة زعيم الأنصار! وهكذا أعلنوا بيعة أبي بكر التي بحيلة من غير مشورة، وساندهم كل القرشيين الطلقاء وكانو ألوفاً في المدينة!

وقد سمع عمر في أواخر خلافته أن بعضهم سيبادر بعد وفاته إلى الصفق على يد أحد وبيعته بالخلافة كما فعل هو في السقيفة ، فخطب ووصف بيعة أبي بكر بأنها كانت فلتة ونجحت، وأصدر أمراً بقتل من بادر الى مثلها! [٧٢]

٥. اعترض سعد بن عبادة زعيم الأنصار وصاح رغم شدة مرضه، وأدان تصرفهم، لكن الحزب القرشي تغلبوا عليه وشتموه وداسوا بطنه، فحمله أولاده الى بيته! فاستولوا على السقيفة وجعلوها مقراً لبيعة أبي بكر، ومركزاً لجلوسهم وعملياتهم!

٦. ترك أبو بكر وعمر وكافة القرشيين الطلقاء جنازة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعترته ، وعشيرته بني هاشم! حتى أن مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحيطه كان بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم شبه خال ! وانشغل الصحابة إلا المنقطعون الى أهل البيت عليهم السلام بتأييد بيعة أبي بكر أو معارضتها ، وانشغلت فعاليات الحزب القرشي وهم: أبو بكر ، وعمر ، وعائشة وحفصة ، وأبو عبيدة ، وسالم مولى حذيفة ، ومعهم بعض الأوس ، بمعالجة موقف الأنصار ، وكانوا يزورون زعماءهم في أحيائهم لإقناعهم ببيعة أبي بكر ، ومنع تأثير سعد وعلي عليه السلام عليهم !

٧. في اليوم الثاني جاء أنصار أبي بكر وعمر من الطلقاء الى مسجد النبي صلى الله عليه وآله مشمِّرين أزرهم يزفون أبا بكر زفةً مسلحة، ويأخذون له البيعة بقوة

(٧٢). البخاري:٨/٢٥

السلاح ويهددون من لم يبايع بالقتل! وأصعد عمر أبا بكر على منبر النبي ﷺ وبايعه بعض الناس، وصلى بهم المغرب ثم عاد الى السقيفة، ولم يزوروا بيت النبي ﷺ ، ولم يصلوا على جنازته !

٨. مساء الثلاثاء ليلة الأربعاء قام عليٌّ عليه السلام بدفن جنازة النبي ﷺ بعد منتصف الليل، وحضر مراسم الدفن بنو هاشم وبعض الأنصار، ولم يحضرها أحد من قادة الحزب القرشي وجمهوره الطلقاء!

٩. في ليلة الخميس قام أمير المؤمنين ومعه فاطمة والحسنان عليهم السلام بجولة على بيوت الأنصار وطالبوهم بالوفاء ببيعتهم للنبي ﷺ وشرطه عليهم النصرة وأن يمنعوه وأهل بيته وذريته ﷺ مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم.. فاستجاب له منهم أربعة وأربعون رجلاً ، فطلب منهم أن يأتوه غداً محلقين رؤوسهم مستعدين للموت، فلم يأته إلا أربعة !

ثم أعاد جولته على الأنصار وبعض المهاجرين ليلة الجمعة ثم ليلة السبت! فلم يأته غير أولئك الأربعة: المقداد، وعمار، وأبو ذر، وسلمان !

١٠. في هذ المدة أرسل الحزب القرشي إلى أسامة وهو في معسكره بالجرف خارج المدينة، أن يغلق المعسكر ويأتي ومن بقي معه الى المدينة، ويبايعوا أبا بكر لأن المسلمين بايعوه، فاحتج عليهم أسامة بأن النبي ﷺ توفي وأنا أمير على أبي بكر، فأبو بكر ما زال جندياً تحت إمرتي !

قال الطبرسي : (فما كان بين خروج أسامة ورجوعه إلى المدينة إلا نحو من أربعين يوماً، فلما قدم المدينة قام على باب المسجد ثم صاح: يا معشر المسلمين، عجباً لرجل استعملني عليه رسول الله ﷺ فتأمَّر علَّي وعزلني)[٧٣] ! انتهى .

١١. تخوف الحزب القرشي من علي عليه السلام أن يجد أنصاراً وينهض ضدهم، لذا تتابعت إليه رسل أبي بكر بالحضور إلى السقيفة ليبايعه، فكان يتعلل بأنه مشغول بمراسم دفن النبي ﷺ، ثم بجمع القرآن. لكنهم واصلوا الضغط عليه، وصعَّدوا تهديدهم، وجاؤوا مسلحين في جمع من الطلقاء إلى باب داره مرات، فتلاسن معهم بعض أنصاره، لكنهم تغلبوا عليهم واقتحموا

(٧٣). إعلام الـــورى:١/٢٦٩:

البيت بالقوة، وأخذوا علياً مقيداً الى السقيفة، فحاججهم بقوة، فسكتوا عنه ذلك اليوم.

وهذه الحادثة هي الهجوم الأول على بيت علي وفاطمة عليهما السلام، وقد يكون وقتها يوم الأربعاء أو الخميس !

١٢. اتفق اثنا عشر صحابياً من المهاجرين والأنصار على أن يخطبوا في المسجد النبوي في يوم الجمعة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ويقيموا الحجة على أبي بكر وعمر، فتكلموا جميعاً وبينوا وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام وبيعة المسلمين له يوم الغدير، وأدانوا مؤامرة السقيفة ! ففي الإحتجاج: (عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول صلى الله عليه وآله ؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً: من المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي.

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان بن حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري.

قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ! وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذاً أعنتم على أنفسكم، فقد قال الله عز وجل: وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره ونستطلع رأيه ، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق به وأولى به من غيرك، لأنا سمعنا رسول الله يقول: علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيفما مال. ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا ؟ فقال أمير المؤمنين: وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين.....

فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم صلى الله عليه وآله، ليكون

ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعذر، وأبعد لهم من رسول الله ﷺ إذا وردوا عليه .

فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ وكان يوم الجمعة ، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا ، فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلموا وتقدموا أنتم، فإن الله عز وجل بدأ بكم في الكتاب.....

فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص ، ثم باقي المهاجرين ، ثم بعدهم الأنصار.... فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص (ابن العاص الأموي) وقال:

إتق الله يا أبا بكر ، فقد علمت أن رسول الله ﷺ قال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر، وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: يامعاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها ومودعكم أمراً فاحفظوه: ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي. ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه ، اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم، ووليكم أشراركم ! ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي . اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة . اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض! فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد، فلست من أهل المشورة ، ولا ممن يقتدى برأيه ! فقال له خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب، فإنك تنطق على لسان غيرك ! وأيم الله لقد علمت قريش أنك من ألأمها حسباً، وأدناها منصباً ، وأخسها قدراً ، وأخملها ذكراً ، وأقلهم غناءاً عن الله ورسوله، وإنك لجبان في الحروب، بخيل بالمال، لئيم العنصر ، مالك في قريش من فخر، ولا في الحروب من ذكر، وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان: إِذْ قَالَ لِلإنسان اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِين . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِيَن !! فأبلس عمر ! وجلس خالد بن سعيد.....).الخ .[٧٤]

١٣. من المرجح أن الهجوم الثاني وقع بعد احتجاج وجهاء الصحابة يوم الجمعة في المسجد، وهو الهجوم الذي أشعلوا فيه النار حول البيت، ثم دفعوا

(٧٤). الإحتجاج للطبرسي : ١ / ٩٧

الباب على الزهراء عليها السلام، وضربوها وأسقطوا جنينها، ثم أخذوا علياً عليه السلام ثانيةً الى السقيفة وهددوه بالقتل إن لم يبايع أبا بكر !

١٤. كان تأثير احتجاج الصحابة الإثني عشر في المسجد قوياً ، فقد أحدث موجة ضد مؤامرة السقيفة ، وضعف أبو بكر وانكسر أمام خطبهم ، ولزم بيته ثلاثة أيام ، وأخذ يلوم عمر على توريطه في الأمر، حتى أنه وآخرون من الحزب القرشي فكروا أن يعيدوا الخلافة شورى بين المسلمين! لكن عمر وبخهم ودبَّر موجة لمصلحة الحزب القرشي ، فاتفق مع جماعة من البدو القريبين أن يدخلوا المدينة ويبايعوا أبا بكر! قال الطبري في تاريخه: (حدثني أبو بكر بن محمد الخزاعي أن أسلمَ أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ماهوإلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر)![٧٥]

١٥. في يوم الجمعة الثانية لوفاة النبي صلى الله عليه وآله خطب علي عليه السلام في مسجد النبي خطبته البليغة القوية المعروفة بـ(خطبة الوسيلة) ! وكانت تأكيداً لإقامة الحجة على أهل السقيفة وغيرهم ، بيَّن فيها مقام النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام عند الله ، ويوم القيامة ، وواجب الأمة تجاههم . وجاء في مقدمتها قول الإمام الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي رحمه الله : إسمع وع وبلغ حيث انتهت بك راحلتك إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه ، فقال: الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده ، وحجب العقول أن تتخيل ذاته ، لامتناعها من الشبه والتشاكل ، بل هو الذي لايتفاوت في ذاته ولايتبعض بتجزئة العدد في كماله...)الخ. وهي طويلة بليغة .[٧٦]

١٦. أما مجيء الصديقة الزهراء عليها السلام الى المسجد، وخطبتها القوية المشهورة، فوقتها بعد أحداث السقيفة وهجومهم على بيتها وضربها وإسقاط جنينها! وبعد أن أجبروهم على البيعة، وشنوا عليهم حرباً اقتصادية لإفقارهم، فحرموهم الخمس الذي لهم، وصادروا منهم أوقاف النبي صلى الله عليه وآله وهي سبعة بساتين وكانت بيدهم، وصادروا منهم مزرعة فدك التي أعطاها

(٧٥). تاريخ الطبري :٤٥٨/٢

(٧٦). الكافي:٨ ١٧

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ للزهراء عليها السلام عندما نزل قوله تعالى (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) ، ومنعوها أن ترث من أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أي شئ ، فرأت الصديقة الزهراء عليها السلام في ذلك مناسبةً لأن تخطب في المسجد، وتؤكد إقامة الحجة عليهم، وتفضح مؤامرتهم، وقد تقدم ذلك !

١٧. يبدو أن حادثة ضرب عمر للصديقة الزهراء عليها السلام كانت في الطريق بعد يوم أو أكثر من خطبتها في المسجد النبوي، فقد ذهبت الى أبي بكر وكان وحده واحتجت عليه، فكتب لها كتاباً بإرجاع فدك إليها، فبلغ ذلك عمر، فلحقها في الطريق وضربها وأخذ منها الكتاب ومزقه!